



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القرآن والاحرف السبعة
المصدر:	الدارة
الناشر:	دارة الملك عبدالعزيز
المؤلف الرئيسي:	عليان، شوكت محمد
المجلد/العدد:	مج 5, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1979
الشهر:	ربيع الآخر
الصفحات:	309 - 332
رقم MD:	196988
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	القبائل العربية، القرآن الكريم، لغة القرآن الكريم، بلاغة القرآن الكريم، اللغة العربية، اللهجات العربية، الاحرف السبعة في القرآن الكريم، حكمة نزول القرآن ، احكام تلاوة القرآن، معنى الاحرف السبعة
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/196988

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القرآن
والأحرف
السبعة

للدكتور: شوكت عليان

١ - لغة القرآن

قبل البحث في موضوع نزول القرآن على سبعة احرف ، لا بد أن نشير الى أن القرآن الكريم انزل بلسان مبین ، وقد نصت اكثر من اية على عربية القرآن . قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) . « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (٢)

ولسان النبي - ص - هو العربية عامة ، وعربية «لهجة» قريش من اهل مكة خاصة ، لذا فالراجح أن يكون القرآن قد انزل بلهجة قريش ، وقد يكون في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣) ما يؤيد هذا الترجيح ، ويؤكد ما ورد من آثار في هذا الشأن :

جاء في سنن ابي داود أن عمر بن الخطاب كتب الى عبد الله بن مسعود ، وهو في الكوفة : « أما بعد : فان الله انزل القرآن بلغة قريش ، فاذا اتاك كتابي هذا فاقرء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » (٤) .

وجاء في توجيهات عثمان الى اللجنة التي كلفت في عهده كتابة القرآن : « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » (٥) وقريش احدى القبائل العربية ، وكان للقبائل الاخرى لغاتها «لهجاتها» كهذيل ، وتميم ، وقيس ، واسد ، وطى . . . ، ومن الطبيعي ان يوجد « تباين لغوي في امور معينة بين تلك اللهجات العربية ، ولا يحول دون تفاهم افراد تلك القبائل » (٦) . ولذا لم يكن من العسير جدا على افراد القبائل العربية كافة قراءة القرآن الكريم بلسان قريش ، وانما الذي صعب على بعضهم نطق القرآن نطقا مطابقا تمام المطابقة لنطق النبي - ص - لاعتياد السنتهم النطق بلهجات قبائلهم التي نشأوا وشبوا عليها ، فاصبح من غير اليسير تحويل السنتهم الى نطق آخر ، وان كان نطقا عربيا . (٧)

وقد ظهرت هذه المشكلة بصورة واضحة بعد الهجرة ، حيث دخل في الاسلام افراد من مختلف القبائل العربية .

قال ابن قتيتة : « ولو ان كل فريق من هؤلاء امران يزول عن لفته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للمادة ، فاراد الله - برحمته وطفه أن يجعل متسما في اللغات ، ومتصرفا في الحركات » (٨) والمتسع الذي اشار اليه العلماء هو ورود حديث عن رسول الله يدل على نزول القرآن على سبعة احرف « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » وهو حديث مشهور ، روى عن كثير من الصحابة ، بالفاظ متقاربة ومعان متفقة . (٩)

٢ - حديث الاحرف السبعة :

جاء في الصحيحين عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله - ص - فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله - ص - ، فكنت اساوره (١٠) في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه (١١) فقلت : من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله - ص - فقلت : كذبت ، فوالله ان رسول الله - ص - قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به اقوده الى رسول الله - ص - فقلت يارسول الله : انى سمعت هذا يقرأ « سورة الفرقان » على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله - ص - : هكذا انزلت ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأنى ، فقال رسول الله - ص - كذلك انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » .

٣ - حديث الاحرف السبعة بين الصحة والشذوذ

صح نقل حديث نزول القرآن على سبعة احرف عن رسول الله - ص - واشتهرت رواياته ، وتمددت اسانيده ، فقد وصلنا من طريق اربعة وعشرين صحابيا (١٢) ، وستة واربعين سندا (١٣) ، واورده البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وروى الحافظ ابو يعلى في مسنده الكبير أن

عثمان - رض - قال يوما وهو على المنبر اذكر الله رجلا سمع النبي -ص- فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد معهم » (١٤)

وتوافق هذه الجموع الكثيرة التي يؤمن تواطؤها على الكذب ، حمل بعض الائمة على القول بتواتر الحديث ، وفي طليعة هؤلاء ابو عبيد القاسم ابن سلام . (١٥)

ومن الغريب ان بعض المستشرقين طعن في صحة هذا الحديث ، ودمغه بانه « شاذ غير مسند » والاغرب من ذلك ان ينسب هذا الطعن الى ابي عبيد الذي قال بتواتر الحديث ، والذي اوقع « جولد تسهر » (١٦) في هذا الوهم - ان لم يكن العمد مع سبق الاصرار والترصد - هو ان ابا عبيد فسر الاحرف السبعة بسبع لغات من لغات العرب ، ثم ذكر حديثا آخر يفسرها بضروب من المعاني المختلفة : حلال وحرام ، وامر ونهى ، وخبر ما كان قبلكم ، وخبر ما هو بمدكم .. ، وعلق عليه بقوله : ولسنا ندري ما اوجه هذا الحديث لانه غير مسند .

فابو عبيد دمغ هذه الرواية من الحديث بالشذوذ ، ولم يصف اصل حديث الاحرف السبعة بالشذوذ ، ولكن جولد تسهر تلقفها منه ، وسرعان ما عممها على جميع روايات حديث الاحرف السبعة .

ورفض بعض العلماء احاديث نزول القرآن على سبعة احرف جملة وتفصيلا ، ودعا الى اهمالها ، وبمباراة اخرى الى رفض روايتها عن النبي -ص- بدعوى انها لم ترد من طريق اهل البيت ، وانها منالفة لصحيحة زرارة بن اعين عن ابي جعفر -ع- قال : « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » وايضا فان الصادق -ع- حكم بكذب رواية الاحرف السبعة وقال : « ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » ولكن فات المحقق الفوتى (١٧) ان صحيحة زارة هذه هي خبر واحد ، وان الكليني رواها في النوادر « (١٨)

وانه من الصعب جدا التسليم بخبر واحد ، او بقول مسووب ، دون

سند يذكر ، في الوقت الذي لا نسلم فيه ، بل نرفض حديثا متواترا او مشهورا ، ورد الينا من طريق اربعة وعشرين صحابيا ، وستة وأربعين سندا .

واما القول بأن الروايات متهافة لتناقضها : « فمن التناقض ان بعض الروايات دل على أن جبريل اقر النبي - ص - على حرف ، فاستزاده النبي - ص فزاده ، حتى انتهى الى سبعة احرف ، وهذا يدل على أن الزيادة بالتدريج في وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة ، وفي بعضها أن الله امره في المرة الثالثة أن يقرأ القرآن على ثلاثة احرف، وكان الامر بقراءة سبع في المرة الرابعة » .

« ومن التناقض أن بعض الروايات يدل على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد ، وأن طلب النبي - ص - الزيادة كان بإرشاد ميكائيل ، فزاده جبريل حتى بلغ سبعا ، وبعضها يدل على أن جبريل كان ينطلق ويمود مرة بعد مرة » (١٩) .

فيجاب عنه بان التناقض هنا شكلي ما دام مضمون الروايات واحدا. وهو الامر او الاخبار او الترخيص بالقراءة على سبعة احرف ، ومما يهون من شأن هذه الاختلافات الشكلية في الروتين كثرة الطرق التي انتقل بها الحديث ، فلا معنى لهذه الكثرة ما لم توجد اختلافات يسره تنتهي دائما نهاية واحدة ، فالثابت هو هذه النهاية التي اجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والاسانيد (٢٠) .

٤ - حكمة انزال القرآن على سبعة احرف

اجتهد العلماء والباحثون - قديما وحديثا - في التعرف على الغاية التي من اجلها انزل القرآن على أكثر من حرف ، فاهتدوا الى حكم كثيرة ، وغايات جليلة وفوائد عظيمة ، نذكر اهمها بايجاز من كتاب مناهل العرفان (٢١) :

١ - التيسير على الامة الاسلامية كلها ، خصوصا الامة العربية التي شوفت بالقرآن ، فانها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات

ونبرات الاصوات ، وفي طريقة الاداء وشهرة بمض الالفاظ في بعض المدلولات على الرغم انها كانت تجمعها العروبة ، ويوجد بينهما اللسان العربي العام ، فلو الزمت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليها .

فللتخفيف على هذه الامة ، واردة اليسر بها ، والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها ، واجابة لقصد نبيها افضل الخلق وحبيب الحق ، حيث اتاه جبريل فقال - ص - : « أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال - ص - أسأل الله معاناته ومومنته فان امتي لاتطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » (٢٢)

٢ - جميع الامة على لسان واحد « لسان قريش » الذي انزل به القرآن الكريم ، والذي انتظم كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية - التي كانت تختلف الى مكة في موسم الحج ، وفي اسواق العرب المشهورة - بحيث اصبحت معان السنة القبائل العربية مستجمعة في لسان قريش ، وتمثلة فيه . مما أهلها لنزول القرآن بها ، مصطفيا ما شاء من السنة غيرها بهدف وحدة اللسان العربي العام ، حيث ان وحدة اللسان من اهم عوامل وحدة الامة .

٣ - بيان حكم من الاحكام ، كقوله سبحانه : « وان كان رجل يورث كلالة ، أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس » (٢٣) قرأ سعد بن وقاص : « وله أخ أو أخت من أم » فتبين بها أن المراد بالاخوة في هذا الحكم الاخوة للام دون الاشقاء ومن كانوا الاب ، وهذا أمر مجمع عليه .

٤ - التجمع بين حكيمين مختلفين بمجموع القراءتين ، كقوله تعالى : « فاعتدلوا النساء في الحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٢٤) قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف « الطاء » من كلمة « يطهرن » ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض ، لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة : ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

أحدهما ، ان العائض لا يقربها زوجها حتى يحصل اصل الطهر ، وذلك بانتطاع الحيض . وثانيهما ، انه لا يقربها زوجها ايضا الا اذا بالغت في الطهر ، وذلك بالاعتسال ، وهو ما ذهب اليه الامام الشافعي ومن وافقه .

٥ - الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كقوله تعالى في بيان الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرفق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » (٢٥) قرئ « بنصب لفظ « أرجلكم » ويجرهما ، فالنصب يفيد طلب غسلها ، لان المطف حينئذ يكون على لفظ « وجوهكم » المنصوب ، وهو مفسول . والجر يفيد طلب مسحها ، لان المطف حينئذ يكون على لفظ « رؤسكم » المجرور ، وهو ممسوح .

٦ - رفع توهم ما ليس مرادا كقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » (٢٦) وقرئ « مامضوا الى ذكر الله » فالقراءة الاولى يتوهم منها وجوب السرعة فسي المشى الى صلاة الجمعة ، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم لان المضى ليس من مدلوله السرعة .

٧ - بيان لفظ مبهم على البعض ، نحو قوله تعالى : « وتكون الجبال كالمهن المنفوش » (٢٧) وقرئ « كالصوف المنفوش » فبينت القراءة الثانية أن المهن هو الصوف .

٨ - ان تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والادلة القاطعة على أن القرآن كلام لله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله -ص- ، فان هذه الاختلافات فى القراءة - على كثرتها - لا تؤدى الى تناقض فى المقروء ، ولا الى تهافت وتخاذل ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدق بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد فى علو الاسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم ، وهذا من غير شك - يفيد تعدد الاعجاز بتعدد القراءات والحروف .

٥ - معنى الاحرف السبعة

لم يصع عن النبي - ص - شيء في تحديد الاحرف السبعة ، ولا في تعيين المقصود منها . لذ اختلف العلماء - قديما وحديثا - في تحديد المراد منها ، فكثرت البحوث فيها ، وتعددت الاراء في معناها ، حتى أوصلها بعض العلماء الى خمسة وثلاثين رأيا (٢٨) . وبلغ بها آخرون اربعين (٢٩) . واكثرها لا يؤيده نقل صحيح ، ولا منطلق مستقيم ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعمين على سبيل القطع والجزم ، مع انه لم يأت في معناها - كما يقول ابو بكر المربى - نص ولا اثر ، واختلف الناس في تعيينها (٣٠) وسنجدل آراء العلماء في معنى الاحرف السبعة في اتجاهين ، ثم نفصل القول في كل اتجاه ، مبينين اهم ما يندرج تحته من آراء .

الاول : أن المراد بالسبعة حقيقة العدد ، وعليه اكثر العلماء .

الثاني : انه ليس المراد بها حقيقة العدد ، وانما المراد السعة والتيسير وبه قال بعض العلماء .

الاتجاه الاول : -

عرفت أن اكثر العلماء ذهبوا الى أن المقصود بالسبعة في الحديث هو الحصر ، ولكنهم اختلفوا في تحديد تلكم الاحرف . واشهر الاراء في هذا الاتجاه هي :

١ - أن المراد بالاحرف السبعة ، سبع لغات « لهجات » من لغات العرب متفرقة في جميع القرآن ، فبعضه نزل بلغة قریش ، وبعضه نزل هذيل ، وبعضه بلغة تميم . . . وهكذا الى السبعة .

والى هذا الرأي ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وتبعه فيه ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠) واحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١) واختاره الازهرى (ت ٣٧٠) (٣١) وتبعهم آخرون (٣٢) .

قال ابو عبيد في بيان رأيه : « قوله : سبعة احرف » يعنى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة

أوجه ، هذا ما لم نسمع به قط ، ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها في هذا كله واحدة . وفيما يبين ذلك قول ابن مسعود : اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم ، انما هو كقول احدكم : هلم وتمال . كذلك قال ابن سيرين : انما هو كقولك : هلم وتمال واقبل ، ثم فسره ابن سيرين ، فقال في قراءة ابن مسعود : « ان كانت الا زقية واحدة » وفي قراءتنا : « ان كانت الاصيحة واحدة » (٣٣) فالمنى فيها واحد ، وعلى هذا سائر اللغات .

وقال ايضا : « ولا يكون المعنى في السبعة الاحرف الا على اللغات ، لا غير ، بمعنى واحد ، لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خير ولا غير ذلك » (٣٤) . واعترض ابن قتيبة وغيره على هذا الرأي ، وقالوا : لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ، لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣٥) وبأن لغات العرب من سبعة ، وليس هناك ما يرجع لغة على لغة ، ولم ينقل نص صحيح في ذلك ، فيكون اختيار اللغات السبع تحكما بلا دليل .

واستبعد ابن عبد البر « أن يكون معنى سبعة احرف سبع لغات ، لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الامر ، لان ذلك من لغته التي طبع عليها ، وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته (٣٦)

٢ - ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقـة

بالالفاظ المختلفة ، نحو اقبل ، وهلم ، وتمال ، وعجل ، واسرع ، وأنظر واخر ، وأمهل . . . ذهب الى هذا الرأي سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) وعبد الله ابن وهب (ت ١٩٧) وابو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١) وغيرهم (٣٧) .

وقال الطبري في بيان هذا الرأي : « السبعة التي انزل بها القرآن هي لغات سبع ، في حرف واحد ، وكلمة واحدة ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، واقبل ، وتمال ، واتي ، والي ، وقصدي ، ونحوي ، وقربى ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق ، وتتفق فيه المعاني ، وان اختلفت بالبيان به الالسن » .

واستدرك الطبري مقررا : « انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما اخبرنا ار معنى قول النبي - ص - : «انزل القرآن على سبعة احرف » على نحو ما جاءت به الاخبار التي تقدم ذكرها ، وان القراءة الان على حرف واحد دون الستة الاخرى باختيار الامة ذلك ٠٠٠ » (٣٨) .

وواضح أن هذا الرأي يعنى ان الاحرف السبعة هى لغات سبع فى الكلمة الواحدة ، وان كل ما يقرأ به الان هو حرف واحد من الاحرف السبعة ، واما الاحرف الستة الباقية فمرفوضة باجماع الامة ، وكأنها كانت رخصة مؤقتة ، واما الرأي السابق فقد فسرها بسبع لغات متفرقة فى القرآن ، ورفض تفسيرها بسبعة أوجه « لغات » فى الكلمة الواحدة .

قال ابن عبد البر « اجمعوا على أن القرآن لا يجوز فى حروفه وكلماته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف : ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد فى القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه الا قليل ، مثل « وعبد الطاغوت » و«تشابه علينا» (٤٠) و«عذاب بثيس» (٤١) ونحوه ٤٢٠

وقد استغل بعض المستشرقين هذا الرأي فى ادعاء أن القرآن تعرض للتحريف بسبب قراءة بالمعنى ، وقالوا : « ان نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية فى الحياة الاسلامية ، لانها أسلمت النص القرآنى الى هوى كل شخص ، يثبته على ما يهواه » (٤٣) .

وفى هذا حمل للنصوص على غير وجهها الحقيقى ، فليست النظرية هنا مما يصح حقا أن يسمى « القراءة بالمعنى » (٤٤) ، كما نفهمه مثلا فى رواية الحديث بالمعنى (٤٥) ، اذ «القرآن والقراءات حقيقةتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد - ص - للبيان والاعجاز ، والقراءات هى اختلاف الفاظ الوحي المذكور فى كتابة الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتشقيل وغيرها » (٤٦) .

فاذا صح أنه - عليه السلام - وسع على المسلمين فى أول الامر ، وراعى التخفيف على المعجز والشيخ الكبير (٤٧) ، وأذن لكل منهم أن يقرأ عليه حرفه ، أى على طريقته فى اللغة ، لما يجده من المشقة فى النطق بغير لفته ، فليس معنى هذا انه كان يأذن لهم باثبات هذه القراءات

وكتابتها على انها حروف نزل عليها القرآن واذن : فيما كانت توسعته عليه السلام - في هذا النوع من القراءة الا تخفيفا على بعض الافراد في حالات خاصة ، واما ما اذن فيه من هذه الحالات باثباته واقر كتبه الوحي عليه فهو محفوظ بطريق التواتر في احرف قليلة معدودة يرفض ما عداها، ولو جاء من طريق صحيح احادى ، لان التواتر شرط في اثبات القرآنية (٤٨) ، فتميم هذه الحالات الفردية على جميع الاحرف السبعة كانها ضرب من القراءة بالمعنى ، لا يمكن أن يقتصر عليه في فهم الحديث (٤٩) .

٣ - ان المراد بالاحرف السبعة سبعة اوجه من اختلاف القراءات ، في القرآن ، أى انها لا تتوارد على الكلمة الواحدة ، والى هذا الرأى ذهب ابن قتبية (٢٧٦) وبذل جهدا فى تصنيف وجوه القراءات على وفق منهجه هذا ، واقتضى اثره - مع اختلافات يسيرة - كثيرة ممن جاءوا بعده .

قال ابن قتبية فى بيان رايه : « وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة اوجه » (٥٠) :

١ - الاختلاف فى اعراب الكلمة ، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « من أظهر لكم » (٥١) وقرئت بالنصب : « من أظهر لكم » .

٢ - الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتابة ، كقوله تعالى : « ربنا باعد بين أسفارنا » (٥٢) وقراءة : ربنا باعد .. »

٣ - الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ، ولا يزيل صورتها ، كقوله تعالى : « كيف ننشزها » (٥٣) وقراءة « نشزها »

٤ - الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « ان كانت الا صبيحة » (٥٤) وقراءة « الا زقية » .

٥ - الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله تعالى « وطلع منضود » (٥٥) وقراءة « وطلع منضود » .

٦ - الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (٥٦) ، وقراءة « وجاءت سكرة الحق بالموت » .

٧ - الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله تعالى « له تسع وتسعون نقة » (٥٧) . وقراءة « نعة اثني » .

واستطرد قائلا : وكل هذه الحروف كلام الله تعالى ، « نزل به الروح الامين » على رسوله - عليه السلام - فاللهذلى يقرأ : « عتى حين » يريد « حتى حين » لانه كان يلفظ بها ويستعملها ، والاسدى يقرأ : « تعلمون وتعلم » و « تسود وجوه » (٥٨) و « ألم أعهد اليكم » (٥٩) . والتميمي يهمز ، والقرشى لا يهمز ، والآخر يقرأ « اذا قيل لهم » (٦٠) و « غيض الماء » (٦١) باشمام الضم مع الكسر ، و « هذه بضاعتنا ردت الينا » (٦٢) باشمام الكسر مع الضم و « مالك لا تأمناء » (٦٣) باشمام الضم مع الادغام ، وهذا ما لا يطوع به كل لسان (٦٤) .

وهذا التفسير من ابن قتيبة يعتمد فى الواقع على ما فى بعض روايات الحديث من اشارة الى اسباب اباحة القراءة على سبعة احرف ، وصورة الخلاف بينها ، الى جانب انه قد صنف وجوه الخلاف فى القراءات ، بادئا من ابسط صور الخلاف ، متدرجا الى اكثر بعدا عن القراءة المشهورة . (٦٥)

والثلاثة الاولى من وجوه الخلاف لا تناقض النص المجمع عليه فى مصحف عثمان ، والاربعة الاخيرة تخالف الرسم العثمانى ، اذا كان الخلاف من اولها منحصرافى احلال كلمة مكان كلمة بمعناها ، وفى ثانيها ابدال صوت من صوت ، يتغير به المعنى ، وفى ثالثها مخالفة فى ترتيب الكلمات عن المعهود المشهور ، وفى رابعها زيادة أو نقص عن النص المشهور . وكل ذلك داخل فى مفهوم الاحرف السبعة ، والمهم فى نظر ابن قتيبة الا يبلغ الخلاف حد التضاد ، والا خرج عنها ، وحرمت القراءة بها ، وانما يجوز أن يكون اختلاف تغاير ، يتحد به معنى النص ولا يتناقض (٦٦) .

الاتجاه الثاني : -

عرفنا أن بعض العلماء ذهبوا الى أنه ليس المراد بالسبعة الحصر ،
وانما التيسير والتسهيل والتوسعة .

قال ابن الخزرى : « وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير ، وانه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى اذن لهم في ذلك .
والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ، ولا يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر . . . وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه » (٦٧) .

وقد مال الى هذا الرأي القاضى عياض (ت ٥٤٤) (٦٨) ، واليه نميل ، واختاره بعض المعاصرين . ومنهم الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقد عرض الرأي عرضا مقنعا فى كتابه « تاريخ القرآن » (٦٩) وهذا ملخصه : مهد الدكتور لاختياره هذا الرأي بذكر ثلاث ملاحظات هامة :

قرر فى الاولى ، أن زمن الترخيص بقراءة القرآن على سبعة احرف لم يكن فى الفترة المكية ، حيث كان مجموع المؤمنين كلا متجانسا ، أغلبهم من قريش ، وعددهم محدود ، واتصالهم بالنبي ، المعلم الاول ، دائم ، فهم من كل وجه - عددا ، ونوعا ، وظرفا - قادرون على تلاوة القرآن صحيحة سالمة من الغلط ، من هنا لم تنشأ اختلافات فى النص القرآنى ، تعتم مواجعتها كمشكلة فى هذه الفترة ، وانما ظهرت خلال الفترة المدنية حيث كان المؤمنون فى ازدياد ، ومن مختلف القبائل العربية ، فضلا عن ان المجتمع المدني كان خليطا من العرب واليهود ، كذلك كانت اعمار المؤمنين تتفاوت ، واكثرهم من الكبار الذى فاتهم عهد التعلم ، والنبي فوق ذلك كله مشغول بمسئوليات هائلة فى التوجيه والتنظيم ، والحكم ، والحرب والسلام . . . فلم يعد من السهل على كل مسلم ان يتلقى القرآن من النبي مباشرة ، بل من استطاع أن يظفر بقطعة أو بقطعتين من فم النبي فقد واتاه خير كثير ، وليقرأ بقدر ما تسعفه ذاكرته ، ولهجه ، فى حدود ما علمه الرسول - ص - . هذه الظروف الجديدة هى التى اقتضت من هذه الرخصة فى تلاوة القرآن ، وهى موقوتة ببقاء مقتضياتها

زائلة بزوال اسبابها ، اى بعودة الحياة الى مستوى من الاستقرار والتجانس ،
قريب من مستوى المهد المنكى . وهو ما لم يحدث الا على عهد عثمان .

وقررني الثانية ، اهم الاسباب الباعثة على الترخيص ، منها :

أ - الاختلاف فى اللغة ، كالهمز وعدمه ، والامالة وسراها ، والفك
والادغام . . .

ب - الاختلاف فى بعض المفردات ، كقولك : هلم ، وتمالى ، واقبل . . .

ج - الاختلاف الناشء عن المعجز فى النطق بسبب صغر السن ، أو الشيخوخة ،
أو الجهل . . .

وقرر فى الثالثة ، ان الترخيص بقراءة القرآن على سبعة احرف ،
كان غير مطلق اى أنه ليس لكل فرد ان يقرأ القرآن على سبعة احرف ،
وانما يلزم كل فرد ان يقرأ ما لقته معلمه - النبى أو أحد الصحابة دون
أن يحاول تقليد غيره فى قراءته اولا ، ودون أن يحاول فرض قراءته على
غيره ثانيا ، ومن هنا كان تصويبه - ص - لكل من قرأ بحضرتة ، برغم
اختلافهم . وقال بعد ذلك : « فالذى نرجحه فى معنى الاحرف السبعة : -
مايشمل اختلاف اللهجات ، وتباين مستويات الاداء ، الناشئة عن اختلاف
السن ، وتفاوت التعليم ، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الالفاظ ،
وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى » (٧٠) .

وبسبب ترجيحه هذا ، فى هدى ما مر من ملاحظات ، وبعدم ورود نص
أو أثر يحدد المراد من الاحرف السبعة ، ولتقبل الصحابة - وهم اكثر
الناس معانة للمشكلة - الامر على انه من باب التوسعة والتيسير .

اذن : فدلالة العدد ، هنا غير مرادة لذاتها ، ومن مجانية التوفيق
أن نحاول حصر الاحرف السبعة بسبع لغات مجتمعة أو متفرقة ، معينة أو
شائعة ، أو أن نحدد مستويات سبعة للاختلاف لتفسير المراد بالاحاديث ،
فكل ذلك خيط بغير دليل (٧١) .

وبهذا يتفق الدكتور مع من يقول بالفاء هذه الرخصة ، فى عهد
عثمان ، بعد جمع القرآن ، وكتابة المصاحف .

كما يتفق مع من يقول ببقاء روح هذه الرخصة الى اليوم ، يقرأ في حدودها المسلمون من شتى الاجناس ، على اختلاف سنتهم في الماضي والحاضر والمستقبل (٧٢) ، ولكنه لا يعد ذلك من الاحرف السبعة ، بل من روح التيسير التي تميز به الاسلام (٧٣) .

خاتمة

في خاتمة بحثنا في هذا الموضوع الشائك ، أود أن انبه الى امرين :-

أولهما : يعد أن عرفنا أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة احرف ، هي التيسير والتسهيل ، ورفع الحرج عن فئات من المسلمين كانت تجد مشقة في قراءتها النص القرآني ، على حسب نطق النبي - ص - نضيف - هنا - أن تلك الرخصة كانت قاصرة على التلاوة ، ولم تشمل كتابة النص القرآني ، فالثابت من روايات كتابة القرآن في حياة النبي - ص - أن كتبه الوحي كانوا يكتبون نص القرآن ، كما يمليه النبي - ص - بلسان قريش ، أي ان الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أوجه ، لسبب يديهي هو أن دلالة الاحرف السبعة لا يمكن ضمها في رمز خطي ، وقد تمت عملية الكتابة في مكة بيد كتاب قريشيين ، وفي المدينة بيد جماعة من الانصار ، ولم تكن بين الحيين فروق تذكر ، (٧٤) .

ثم أن الصحف التي جمعت فيها القرآن في خلافة ابي بكر ، اعتمدت اساسا على ما كتب بين يدي النبي - ص - وعلى حسب نطقه واملائه . ولما تمت عملية نسخ المصاحف من تكلم المصاحف في خلافة عثمان ، كان التأكيد كبيرا على كتابتها على حسب نطق النبي واملائه .

فكتابة المصاحف اذن ، كانت بعيدة عن آثار رخصة الاحرف السبعة ، ولهذا ما ان عممت تلك المصاحف على الامصار حتى ترك الناس كل قراءة جاءت مخالفة لها أو لا يحتملها رسمها (٧٥) .

وثانيهما : ليس المقصود بالاحرف السبعة قراءة معينة من القراءات التي تنسب الى قارئ معين ، بل أن الاحرف جاءت لتشير الى الرخصة التي نجد اثارها في وجوه القراءات - عامة - التي ثبت نقلها . اما ما يسمى

بالقراءات السبعة فانها لم تعرف على هذا النحو الا رأس المائة الرابعة من الهجرة ، حيث اختار الامام ابو بكر احمد بن مجاهد (ت ٢٢٤) قراءة سبعة من ائمة القراء فى الامصار الاسلامية ، ووضع فى قراتهم كتابه المشهور باسم « السبعة » (٧٦) .

هوامش البحث

- ١ - يوسف / ٢
- ٢ - الدخان / ٢٨
- ٣ - ابراهيم / ٤
- ٤ - وانظر : ابن حجر / فتح البارى ج ٩ ص ٢٧
- ٥ - البخارى / الجامع الصحيح ج ٦ ص ٢٢٤
- ٦ - د ابراهيم انيس / فى اللهجات العربية ص ١٦
- ٧ - انظر ابن حجر / فتح البارى ٢٨/٩
- ٨ - تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨
- ٩ - انظر روايات حديث الاحرف السبعة فى تفسير الطبرى ج ١ ص ٢١ وقد احصاها الدكتور عبد الصبور شاهين فى ملحق كتابه تاريخ القرآن ص ٢٢٩ - ٢٤٥ وانظر ملاحظاته ونقد الاستاذين احمد ومحمود شاکر لاسانيد وروايات الحديث ص ٢٥ - ٢٢ .
- ثم انظر : تلکم الاحاديث ووجه الاستشهاد منها فى مناهل العرفان للزرقانى ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥ .
- ١٠- ساوره : وثب عليه : أى كدت اثب عليه .
- ١١- اللب : موضع القلادة ، وما يشد من سيور السرج فى اللبة .

واللبية : المنحر ، الفيروز ابادى / القاموس المحيط/ مادة لب

١٢- منهم : عمر ، وعثمان ، وابو بكر ، وابن مسعود ، وابن عباس ،
وابو سعيد الغدري وابن طلحة الانصارى ، وابى بن كعب ، وزيد بن
أرقم ، وسمرة بن جندب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن أبى
سلمة ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وانس ، وحذيفة ، . . .

١٣- السيوطى / الاتقان ١ ص ٧٨ و د . عبد الصبور شاهين / تاريخ
القرآن ص ١٩٣ ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على
راى المحقق الخوئى فى كتابه/ تاريخ القرآن ص ٣٠ .

١٤- نفسه .

١٥- السيوطى / الاتفاق ١ ص ٧٨

١٦- مذاهب التفسير الاسلامى ص ٥٤

١٧- انظر : رايه من روايات الحديث ونقده لها فى كتابه البيان فى
تفسير القرآن ص ١٩٣

ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على راي المحقق الخوئى
فى كتابه / تاريخ القرآن ص ٣٠

١٨- اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن . باب النوادر - الروايتان ١٣ ١٣
وقد قرر شارح الروايتين ، الشيخ عبد الحسين المظفر فى كتابه
الشافى فى اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن ٧ ص ٢٢١ - ٢٢٢
أن الامام - ع - انما كذب ما فهم من المراد بالاحرف السبعة ،
اختلاف القراءة ، وان تكذيب الامام لا ينافى تفسير الحديث بسبع
لغات من لغات العرب او بغير ذلك . وعلى هذا فالامام لم ينف اصل
الحديث ، وانما رفض تفسيره بتعدد القراءة ، وانظر : الزبغانى/
تاريخ القرآن ص ٣٥ - ٣٨ حيث اورد حديث الاحرف السبعة
واجتهد فى شرح معناه .

١٩- المحقق الخوئى/ البيان ص ١٩٤ - ١٩٥

- ٢٠- انظر الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٣١
- ٢١- الزرقاني / مناهل العرفان > ١ ص ١٣٨ - ١٤٢
- ٢٢- النشر في القراءات العشر > ١ ص ٢١ والحديث جاء ابى الصحيحين
انظر صحيح البخارى > ٣ ص ٢٢٦ وصحيح مسلم > ١ ص ٥٦١
- ٢٣- النساء/ ١٢
- ٢٤- البقرة/ ٢٢٢
- ٢٥- المائدة/ ٦
- ٢٧- القارعة/ ٥
- ٢٨- الزركشى / البرهان > ١ ص ٢١٢ وقد نسبه الى ابى حاتم بن حبان
البيستى .
- ٢٩- السيوطى / الاتقان > ١ ص ٧٨ .
- ٣٠- الزركشى / البرهان > ١ ص ٢١٢ ، وصحى الصالح/مباحث فى علوم
القرآن ص ١٠٣
- ٣١- الزركشى/البرهان > ١ ص ٢١٧ ، وانظر : الزرقانى/مناهل
العرفان > ١ ص ١٧٣
- ٣٢- السيوطى / الاتقان > ١ ص ١٣٥
- ٣٣- يسين / ٢٩
- ٣٤- غريب الحديث > ٣ ص ١٥٩ - ١٦١ عن غانم قدورى حمد/
محاضرات فى عموم القرآن > ٢ ص ٨٥

٣٥- ابراهيم / ٤

٣٦- الزركشى / البرهان > ١ ص ٢٢٠ والسيوطى / الاتقان ١٣٤ .

٣٨- تفسير الطبرى > ١ ص ٥٧ - ٥٩ ، والزرقانى / مناهل العرفان
> ١ ص ١٦٧

٣٩- المائدة / ٦٠

٤٠- البقرة / ٧٠

٤٢- الزركشى / البرهان > ١ ص ٢٢٣

٤٣- الدكتور صبغى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٨ ، عن
عن المستشرق بلاشير فى تاريخ الادب العربى .

٤٤- انكر ابن الجزرى فى كتابه « النشر فى القراءات العشر » القراءة
بالمعنى فقال : « أما من يقول بان بعض الصحابة ، كابن مسعود يغير
بالمعنى فقد كذب عليه . انما قال : نظرت القراء فوجدتهم متقاربين
فاقرأوا كما علمتم » .

٤٥- د . صبغى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٧

٤٦- الزركشى / البرهان > ١ ص ٣١٨ .

٤٧- يشهد لهذا « ما رواه الترمذى عن ابى بن كعب انه لقي رسول الله -
ص - جبريل فقال : « يا جبريل ، انى بعثت الى امه اميين ، منهم
العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ
كتاباً قط » فقال : يا محمد ، ان القرآن انزل على سبعة احرف »
الزركشى / البرهان > ١ ص ٢٢٧ .

٤٨- الزركشى / البرهان > ٢ ص ١٢٥

- ٤٩- الدكتور صبحى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٨
- ٥٠- تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨ - ٣٠ عن الدكتور عبد الصبور شاهين/ تاريخ القرآن ص ٣٣ - ٣٤ وانظر الزرقانى / مناهل العرفان - ١ ص ١٥١ - ١٥٢ وانظر : مقدمة ابن عطية ص ٢٦٤ - ١٦٥ .
- ٥١- هود / ٧٨ .
- ٥٢- البقرة / ٢٥٩
- ٥٤- يسين / ٢٩
- ٥٥- الواقعة / ٢٩
- ٥٦- ق / ١٩
- ٥٧- ص / ٢٣
- ٥٨- آل عمران / ١٠٦
- ٥٩- يسين / ٦٠
- ٦٠- البقرة / ١١
- ٦١- هود / ٤٤
- ٦٢- يوسف / ٦٥
- ٦٣- يوسف / ١١
- ٦٤- تاويل مشكل القرآن ص ٢٩ - ٣٠ وانظر / الزرقانى / مناهل العرفان - ١ ص ١٥٥

٦٥- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٣٥

٦٦- السابق وقد اشار الى تاويل مشكل القرآن ص ٣١ .

٦٧- النشر فى القراءات العشر - ١ ص ٢٥

٦٨- السيوطى / الاتفاق - ١ ص ١٣١

٦٩- ص ٣٩ - ٤٤

٧٠ - ٥٠ عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٤٣

٧١- نفسه .

٧٢- الدكتور ابراهيم انيس / اللهجات العربية ص ٤٧

٧٣- تاريخ القرآن ص ٤٤

٧٤- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٥٤ ، ٤٧ ، ٤٤

والشيخ حسنين مخلوف / البيان فى علوم التبيان ص ٩٣ ، ٩٤

٧٥- انظر : غانم قدورى حمد / محاضرات فى علوم القرآن ص ٩٣ -

٩٤

٧٦- نفسه ص ٩٨

أهم مصادر البحث

١ - اجنتس جولد تسهر

مذاهب التفسير الاسلامى ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٩٥٥ ،

ترجمة الدكتور عبد الحليم النجاد .

٢ - السيد ابو القاسم الموسوى الخوئى

٣ - البيان في تفسير القرآن ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاداب في النجف
عبد الحسين المظفر .

الشافى في شرح اصول الكافى ، مطبعة الغرى الحديثة في النجف .

٤ - الدكتور صبحى الصالح

ماحث في علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، دار العام للملايين ،
بيروت .

٥ - عبد الحق بن عطية

مقدمة تفسيره المسمى الجامع المحرر ، تحقيق آرثر جعفرى ، وعبد
الله الصاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الصاوى - مصر .

٦ - غانم قدورى حمد

محاضرات في علوم القرآن ، مطبوعة بالرونيو

٧ - ابو عبد الله الزبغانى

تاريخ القرآن ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، مؤسسة الاعلمى ، بيروت
٨ - الدكتور عبد الصبور شاهين

تاريخ القرآن ، الطبعة الاولى ، دار القلم بيروت ١٩٦٦ م

٩ - ابو جعفر محمد بن جرير « الطبرى »

جامع البيان عن تاويل القرآن - تحقيق وتعليق محمود محمد شاکر
ومراجعة احمد محمد شاکر - دار المعارف ١٣٧٤ هـ .

١٠ - محمد بن عبد الله الزركشى

البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة
الثانية ، عيسى البابى الحلبي

- ١١ - محمد عبد العظيم « الزرقاني »
 مناهل العرفان في علوم القرآن ، طبعة عيسى البابي الحلبي
- ١٢- الدكتور ابراهيم انيس
 في اللهجات العربية - الطبعة الثانية ١٩٥٢ والثالثة ١٩٦٥ م
- ١٣- شمس الدين محمد ابن الجزرى
 النشر في القراءات العشر - نشر باشراف على محمد الضباع ،
 الطبعة الاولى .
- ١٤- محمد بن يعقوب « الفيروزابادى »
 القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة .
- ١٥- محمد بن عبد الله بن مسلم « ابن قتيبة »
 تاويل مشكل القرآن - بشرح وتحقيق السيد احمد صقر - الطبعة
 الاولى ١٩٥٤
- ١٦- ابو حامد محمد « الغزالي »
 المستتصفي من علم الاصول ، للطبعة الاولى ١٩٣٧ م ، مطبعة
 مصطفى محمد .
- ١٧- عبد الفتاح القاضى
 تاريخ المصحف ، مطبعة المشهد الحسينى .
- ١٨- محمد فؤاد عبد الباقي
 المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار مطابع الشعب .

١٩- محمد بن اسماعيل « البخارى »

• صحيح البخارى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت

٢٠- « مسلم » بن الحجاج القشيري

• صحيح مسلم ، مطبعة محمد علي صبيح - مصر

٢١- محمد حسنين « مخلوف »

عنوان البيان فى علوم التبيان ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م ، مطبعة
البابى الحلبي بمصر •

يسر الدارة أن تنشر اعتبارا من عددها القادم الجزء الاول من
البحث الذى اعده الدكتور عبد الله محمد سندی عن المغفور له الملك
الشهيد فيصل بن عبد العزيز والتضامن الاسلامى

وقد سبق للباحث أن قدم هذا البحث باللغة الانجليزية فى مؤتمر الملك
فيصل الذى عقد فى مدينة سانت باربارا بولاية كاليفورنيا الامريكية ،
خلال الفترة من ٤ - ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ الموافق ١١ - ١٢ مايو
١٩٧٨ م •

والجدير بالذكر أن الدكتور عبدالله محمد سندی احد الكفاءات
الوطنية التى تعزز بها الدارة ، فقد حصل سعادته على درجة الدكتوراه ،
وأعد البحث من واقع رسالته العلمية •